مقدمة الرسالة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد.

فإن الله -ﷻ- حين خلق الإنسان واستخلفه على هذه البسيطة؛ فإنه لم يخلقه عبثاً، ولم يستخلفه هدراً، وإنما خلقه لهدف عظيم، والبحث عن حقيقة هذا الهدف هو السؤال الأهم في تاريخ التفكير البشري حين يخاطب ضميره ووجدانه، "لماذا خلقت؟"، و "ما الهدف من الحياة؟".

وإن المتأمل في تاريخ البشرية منذ فجر وجودها ليجد أن أمماً وجدت وتوالدت، وشعوباً غادرت هذه الحياة، في عملية منتظمة متناسقة، يعجز الفكر البشري عن إدراك أسرارها، بيد أن القضية الأهم في تلك العملية وحجر الزاوية فيها هو موقف الإنسان من معبوده، وهو الموقف الذي يضع الإنسان نفسه أمام الأجوبة المصيرية للسؤال الأهم في تاريخ التفكير البشري ورحلة البحث عن الهدف من خلق الإنسان، وعن سر وجوده في هذه الحياة.

وإن أعظم نعمة امْتُنَّ بها إنسان على هذه البسيطة هي توحيد الله -ﷻ-، ومعرفته، وهذه المعرفة لا تتحقق إلا من خلال التوجه بالعبادة إلى الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، والنفس الإنسانية حين تدرك هذه الإجابة، وتعي بضميرها ووجدانها أنها هي المخاطبة بهذه الإجابة حينها يحصل لها الطمأنينة وراحة البال، وحين تدرك تلك النفس معنى اليقين بالله -ﷻ- تجد أن أفعالها تسبق أقوالها، وأنها وإن انقطعت بها الحيل، وانتهت بها الأسباب، فإنها لا تملك في تلك اللحظات الرهيبة إلا أن تتفوه بمضامين تبرز أهمية العبودية لله -ﷻ-، وحسن الظن به، والتوكل عليه، ومن هنا جاءت الكلمة التي سجلها التاريخ حين قالت هاجر -عليها السلام-: "إذاً لن يضيعنا الله[2]" لتكون نواة خير، ومعلماً أبدياً من معالم التوحيد، انعكست لاحقاً على المجتمع الناشئ، ولتحقق في نهاية الأمر سعادة البشرية كلها، وتحقق الهدف من وجودها واستخلافها على هذه البسيطة.

---

(1) سورة الذاريات: الآية (٥٦).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم "٣١٨٤" من أثر ابن عباس -رضي الله عنهما- بلفظ "لا يضيعنا الله": كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: "واتخذ الله إبراهيم خليلا"، انظر: (م٣/ص١٢٢٧)، قال ابن حجر -رحمه الله- في فتح الباري: في رواية عطاء بن السائب قالت: "لن يضيعنا الله"، وفي رواية ابن جريج قالت: "حسبي"، وفي رواية إبراهيم بن نافع قالت: "رضيت بالله"، انظر: (م٦/ص٤٠١).

إنه الإيمان بالله –جَلَّ جَلَالُهُ– المتضمن توحيده، والعمل بمقتضى ذلك الإيمان، قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾[1]، وأعظم الخسارة؛ خسارة الإيمان بالله –وَعَزَّ وَجَلَّ– ومعرفته، وهي خسارة لا يمكن تصورها، ويتضمن الشقاء في الدنيا والآخرة، ولهذا أقسم الله –وَعَزَّ وَجَلَّ– بحال الإنسان، وأكد أنه في خسران ونقصان في كل أحواله، ثم إن الخسران محيط به من كل جانب، واستثنى من ذلك الخسران من اتصف بأربع صفات، وهي:

الصفة الأولى: الذين ءامنوا، ءامنوا بماذا؟، ءامنوا بالأصول الستة التي ذكرها الرسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في حديث جبريل –عَلَيْهِ السَّلَامُ– حين سأله عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[2]، وهو الإيمان الذي لا يخالجه شك، ولا تردد.

الصفة الثانية: عملوا الصالحات، فهم بجانب كونهم ءامنوا بالله، أيضاً التزموا بالعمل الصالح الناتج عن ذلك الإيمان، فإيمانهم قول وعمل، وليس قول فقط، فهم لم يقتصروا على مجرد ما في القلب، بل عملوا وأنتجوا، وأعمالهم اشتملت على أمرين مهمين، وهما الإخلاص لله –وَعَزَّ وَجَلَّ–، والمتابعة للرسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

الصفة الثالثة: تواصوا بالحق، وهو الشرع، فهم لم يقتصروا نفع أنفسهم فقط، بل نفعوا غيرهم أيضا.

الصفة الرابعة: تواصوا بالصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة.

وكفى بهذه السورة موعظة، والإنسان العاقل إذا عرف أنه في خُسرٍ، وأنه لا سبيل له إلى الربح العظيم إلا إذا اتصف بهذه الصفات الأربع، فإنه سوف يحاول بقدر ما يستطيع أن يتصف بها، وإلى تخليص نفسه من الخسران[3].

---

(١) سورة العصر.

(٢) الحديث متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم (٥٠)، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل، انظر: (م١/ص٢٧)، والإمام مسلم في صحيحه برقم (٨)، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام، انظر: (م١/ص٣٦).

(٣) انظر: **تفسير القرآن الكريم – جزء عم–**: الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٣=١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، **ص(٣١١-٣١٧)**.

وبهذا ندرك أن طريق التوحيد هو الطريق الذي يحقق للبشرية سعادتها، ويكفل لها هدايتها وأمنها، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[1]، فالأمن والهداية حق لعباد الله الموحدين الذين لم يخالطوا إيمانهم بظلم، وأعظم الظلم هو الشرك بالله؛ إذ أن الشرك جمع بين الاعتراف لله بالألوهية والاعتراف لغيره بالربوبيّة، ولما كان الاعتراف لغيره ظلماً كان إيمانهم بالله مخلوطاً بظلم وهو إيمانهم بغيره، فاستحقوا أن يكون حظهم الضلال والشقاء، وليس الهداية والأمان[2].

فالآية فاصلة بين فريقين، فريق المؤمنين الذين حصل لهم الهداية التامة والأمن التام، وفريق المشركين التائهين في غياهب الظلمات، والحائرين بين لجج الشبهات وعبودية الأهواء والشهوات.

وحين خلق الله آدم عليه السلام وأهبطه إلى الأرض من أجل عمارتها واستخلاف البشرية عليها حتى يرث الله الأرض ومن عليها، منذ تلك اللحظة ابتدأ تاريخ البشرية على هذه البسيطة، قال تعالى:﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [3]، فالنص القرآني يوضح ملامح هذا التاريخ الذي كان في سابق عهده حافلاً بسفك الدماء وخراب الأرض، وحين شاءت إرادة الله -ﷻ- في أن تكون هذه الأرض مأوى الجنس البشرى بشتى أشكالهم وأجناسهم ومختلف لغاتهم، غرز فيهم الفطرة السليمة التي لا يمكن لأي نفس أن ترتضي سواها، وهي الفطرة التي هدى الله البشرية إليها، وكملها لها غاية الكمال، وفطر الخلق على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره، ولن تستقيم حياة الناس على هذه البسيطة إن هم غيروا وبدلوا هذه الفطرة، وفي الحديث:" وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم

---

(1) سورة الأنعام: الآية: (٨٢).

(2) انظر: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**: العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٤=١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، **ص٢٦٣**، وانظر: **التحرير والتنوير**: الإمام محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، ط "بدون" =١٩٨٤م، **ص(٣٣٢/٧)**.

(3) سورة البقرة: الآية: (٣٠).

الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمَتْ عليهم ما أَحْلَلتُ لهم، وأَمَرَتْهُم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا"[1].

حدث ذلك بعد عشرة قرون حافلة بالعبودية لله وتحقيق الهدف من عمارة الأرض، حين دب الشرك في المجتمعات، وفشا الجهل، وابتعد الناس عن نور العلم، وزين الشيطان لفئام من الناس الشرك، وقربها لهم عن طريق الغلو في الصالحين، يقول ابن عباس -رضي الله عنه- في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[2]، "أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت"[3].

والنفس الإنسانية حين تصبح في منأى عن نور الوحي الإلهي يفسد حالها، وتضيع بين مناهج الفلسفة، وتجارب حكماء الطريقة، وأساليب كهنة المعبد الذين عقدوا العزم على تحقيق أمنية إبليس في إغواء بني آدم، وتتجلَّى هذه الغواية حين يقدم الإنسان على الشرك بالله، منسلخاً عن فطرته التي تدعوه إلى التوحيد، واقعاً في شراك الرق والعبودية، الأمر الذي أدى إلى ظهور مشكلة عقائدية اجتماعية تتمحور في ابتعاد الناس عن نور الوحي الإلهي، والفكر البشري حين يضل عن ذلك النور لن يجد الطريق الصحيح المؤدي إلى سلامة الفكر، وسلامة المنهج، وتظهر المشاكل الاجتماعية حين تسلم الجموع الغفيرة من الناس عقولها لمن تظن أنها قادة الفكر وأرباب الآلهة.

ومن هنا ظهرت فكرة أن التوحيد خاص لمن يسمون أنفسهم برجال الدين وكهنة المعبد، فهم ومن خلالهم يتحقق التوحيد، وطريقه خاص بهم، وأما تلك الجموع الغفيرة التي وقعت في شراك الشرك وانساقت نحو أساليب الغواية فلا حظ لهم من ذلك التوحيد؛ اللهم إلا محاولات يائسة للهروب من دوامة التناسخ، وحين تنعتق النفس من تلك الدوامة، وعبر

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عياض بن حمار المجاشعي -رضي الله عنه- برقم: (٢٨٥٦)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، انظر: (م٤/ص٢١٩٧).

(2) سورة نوح: الآية (٢٠).

(3) رواه الإمام البخاري في صحيحه: حديث رقم: (٤٦٣٦)، كتاب التفسير، باب "ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق"، انظر: (م٤/ص١٨٧٣).

المجاهدات النفسية وممارسة الرياضات الروحية، حينها تتجلى أعظم صور التوحيد عند أرباب الطريق الفلسفي!، وتكمن تلك الصورة من خلال الاتحاد بالكائنات الإلهية، والتنعم بمخاطبتها!.

هذه الحقائق التاريخية تقود المعرفة الإنسانية إلى الاعتراف بأصالة التوحيد، وأن الشرك والوثنية إنما طرأتا لاحقاً على بني آدم، وفي هذا رد على الاتجاه الذي يتبنَّى نظرية الارتقاء والتطور الداروينية، معترفاً بأصالة الشرك وثانوية التوحيد، وهو الاتجاه الذي تزعمه العالم اليهودي "إميل دور كايم[1]" في فلسفته الاجتماعية عن "العقل الجمعي" وغيره[2]، مستفيدين من نظرية التطور، وأن الدين إنما ظهر في صورة الخرافة والوثنية، وأن الإنسان أخذ يترقى في دينه حتى وصل إلى التوحيد[3].

ولما كان التوحيد قضية أصالة، فإن المعرفة الإنسانية جنت على تلك الأصالة حين تعدت حدودها، فأنكرت الوحي كأهم مصدر من مصادر المعرفة، واتهمت الأنبياء والرسل بشتى أنواع التهم، وشككت في مصداقيتهم، بينما هي في الجانب الآخر تستقي معرفتها من رجال الكهنة والمؤتمنين على أسرار المعبد!، فتثق في قدراتهم العقلية القاصرة، وتعتقد أن العقل البشري حين يكون مجرداً عن الدين، وبعيداً عن الولوج في مسائل التدين فإنه يمثل أرفع درجات التحرر العقلي، وبالتالي فإن عقل الفيلسوف يعد مصدراً معرفياً مهماً للفكر البشري!.

ظاهرة تقديس العقل البشري لم يكن كافياً للجناية على التوحيد وعلى أصالته؛ فقد تعدت المعرفة الإنسانية على العقل البشري وأصابته في مقتل، وظهر نوع آخر من المعرفة،

---

(١) **اميل دور كايم**: ولد سنة (١٨٥٨م)، فيلسوف فرنسي، وهو واضع علم الاجتماع المعاصر، ومن مؤلفاته: تقسيم العمل الاجتماعي وقواعد النهج الاجتماعي، وتوفي سنة (١٩١٧م). انظر: **تاريخ الفلسفة الحديثة**: يوسف كرم (ص: ٤٧٥).

(٢) من فلاسفة الغرب وعلماء التاريخ الإنساني "الانثروبولوجيا" أمثال: "سبنسر"، و"تيلور"، و" فريزر" الذين رأوا أن الدين صناعة بشرية، ولا علاقة ولا وجود للوحي الإلهي في نشأة البعث الديني، فذهبوا إلى التنقيب عن أديان الأمم القديمة، أو أديان الأمم المعاصرة غير المتحضرة، واستخدموا المنهج القياسي في استنتاج أقدم مظهر معروف من مظاهر التفكير الديني، واعتباره صورة مطابقة لما كان عليه الإنسان الأول!. انظر: **المنهجية في دراسة الأديان**: أ.د. عبد الله بن علي سمك، الناشر: دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط١= ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م. **ص (٤٢-٤٣)**.

(٣) انظر: المنهجية في دراسة الأديان الوضعية: أ.د. عبد الله سمك، ص٤٣.

تلك المعرفة التي تؤدي إلى إهمال العقل بالكلية، والاهتمام البالغ بالجانب الروحي والنفسي، يظهر ذلك جلياً حين سلمت الجموع الغفيرة من الناس عقولها إلى سلطة كهنوتية مارست عليها أقسى درجات الطغيان الروحي، فظهر الحكماء الروحانيين الذين دلسوا على الناس قدراتهم الخارقة، وأنهم يملكون القدرة على التخاطب مع الكائنات العلوية، والوصول إلى المعرفة الإلهية أو ما يسمى بالعلم اللدني، مستندين في ذلك على المصادر الغامضة وأسرارها الخفية، حتى أصبح النتاج الروحي من الطلاسم السحرية والرموز الخفية تراثاً روحياً ومصدراً معرفياً مهماً لحل القضايا الغيبية التي عجز العقل البشري عن إدراك كنهها وحقيقتها.

ومن هنا ظهرت خطورة الجناية على التوحيد، وإشكالية تراث المنهج العقلي الذي لا يؤمن بوحي، أو يكاد يهمله حين يقدم العقل على الوحي ويلوي نصوصها، وجناية الإنسان على نفسه حين يتعاطى التعامل مع القوة الغيبية الخفية، وهي في أجل صورها عندما يكون الإنسان أسيراً لتلك القوى، فتملي عليه ما يظنه معرفة!، وهي في حقيقتها رجمٌ بالغيب وتخريصٌ بالظن.

إن المعرفة الإنسانية حين استندت على الفكر البشري مصدراً مستقلاً، وعلى الوعي الروحي منبعاً للمعرفة الإلهية، ولم تتنور بنور الوحي الإلهي فإنها ظلت فكراً بدائياً، ولاتزال على هذا الفكر البدائي، وإن كانت في أعلى درجات التقدم الحضاري والارتقاء العلمي ما لم يكن مصدر المعرفة لديها مستنداً على الإيمان بالله -ﷻ-، والإيمان برسله، وبما جاءوا به من الوحي المنزل عليهم، فالمعرفة التي جاء بها الأنبياء والرسل –عليهم السلام– لا يمكن أن تتعارض مع العقل الصريح.

وبالتالي فإن المتأمل في الموروث العقائدي في الفكر الشرقي القديم يدرك بداءة ذلك الفكر حين انطلق من الأصول الفاسدة، فاستند في إثبات صحة المعرفة لديه على السحر والتنجيم والكهانة، وعلى الأساطير والخرافات، وعلى الأسرار والقوة الخفية، وعلى سلطة الكهنة ورجال الدين فيها، واستدلالاتهم القاصرة في إثبات عقائدهم، معتمدين على المصادر الغامضة، ومهتمين بالجانب الروحي والخلقي والسلوكي، مع إهمالهم للجانب العقلي، فلا يوجد لديهم رؤية واضحة عن قضية المعبود، وأصبح التعدد والوثنية دين الجماعة، بينما اختصت السلطة الدينية بعقيدة التوحيد الذي يشوبه الغموض وصعوبة المسلك في إثبات ذلك التوحيد، وأصبح الفرد في البيئة الهندوسية تائها بين التوحيد والتعدد

والتثليث، حائرا بين من يَعبد، فكل شـــيءٍ عظيمٌ مقدَّسٌ هو إله عنده يُعبد، قانون الجزاء تلاحقه أينما حل، وتناســـخ الأرواح ترافقه كيفما ارتحل، هدفه الوحيد في هذه الحياة هو خلاص النفس واتحادها مع الروح، لتنطلق وتحل في موجدها وخالقها!، وهذا لن يكون إلا من خلال ممارســة الرياضــات الروحية القاســية، التي تؤدي إلى إماتة الشــهوات، وحرمان النفس من الملذات.

ولم يختلف الحال كثيراً مع محاولات إصلاح المعتقد، وأصبحت الثورات الإصلاحية التي قادها مفكرو الهندوسية أمثال "البوذا سيدهاراتا غوتاما – **Buddha Siddhartha Gautama**[1]" وغيره ضد الطبقية الهندوسية الغاشمة منهجاً أخلاقياً فحسب، فالمحاولات الإصلاحية التي جاءت بها البوذية جعلت الأخلاق والفضيلة من أَجلِّ اهتماماتها، وهدفها السامي وغايتها النبيلة هي وصول الإنسان إلى أعلى مراتب الزهد والتقشف، من خلال القضاء على الرغبات، وإخماد الشهوات، عن طريق التأمل والانتباه الصامت، والوعي الكوني، لتصل في نهاية المطاف إلى مرحلة الفناء في الطهر، والتي تعرف بالـ"نيرفانا"، بينما لم تعالج البوذية في ثورتها الإصلاحية قضية المعبود كأهم إشكالية يواجها الفكر البدائي القديم، ولم تلتفت إليه، فقد أهملت البوذية الجانب الإلهي وأعدمته تماما، فلا تعترف البوذية بإله، سوى فئامٌ منهم اتخذوا من "بوذا" بعد موته إلاهاً، واندمجت تلك الثورة الدينية لاحقاً في البيئة الهندوسية، وأصبح الفرد **بوذياً** في الجانب الروحي والسلوكي، **هندوسياً** في الجانب الشعائري والتعبدي.

ولا يختلف الحال كذلك مع أصحاب المذاهب الفلسفية الوثنية، من الكونفوشيوسية والطاوية والشنتوية، المتأثرين بالعقائد الإلحادية الشرقية، من الصينيين القدامى الذين آمنوا بالحياة الروحية، واعتقدوا بفاعلية القوى الطبيعية، وتأثيرها على الحياة البشرية، ففسرت

---

(1) **بوذا**: سيدهارتا غوتاما، ولد في سفح الهملايا بشمال الهند، كان ينتمي للأسرة التي كانت تحكم المنطقة، عاش تقريبا نحو (٥٠٠ أو ٤٨٠ق.م)، وقد تركت حياته وشخصيته انطباعاً ذا تأثير على الفكر الفلسفي الشرقي؛ إذ يعد واحداً من كبار المجددين للفكر، من مبادئه: تحقيق النيرفانا بواسطة التأمل والانتباه، بعكس الطريقة التي كانت متبعة وهي تعذيب الجســـد ونكران الذات، كما أن مبادئه أدت إلى محاربة الطبقية. انظر: معجم الفلاسفة: طرابيشي (ص: ٢٧٧)، وفلاسفة الشرق: توملين، ص (٢١١).

التنظيم الكوني للحياة تفسيرا فلسفيا قائم على مبدئين؛ الـ"ين ☯يانغ[1]" اللذان يوجدان في كل أشكال الحياة ومظاهر الكون، ومن التعاقب بينهما تنتج الحركة الأبدية للكون، مبدأ الـ"ين" الذي يرمز إلى الأنوثة والسلبية والبرودة والظلمة، ومبدأ الـ"يانغ" الذي يرمز إلى الذكورية والإيجابية والحرارة والنور، ومن هذا المنطلق استطاعت أن توجه الطاقات البشرية بعد ربطها بالكون، وجعلها في نسق رمزية، ورياضات روحية، وطقوس دينية، فطبقتها في مجالات شتى من طب وفنون عمارة ومهارات قتالية، وتشعبت فيها كثيرا فاهتمت بدراسة العواطف والمشاعر، وفسرت مصدر الأمراض، وإعداد الأدوية، وأسست علوما مثل الوخز بالإبر التي تعتمد على معرفة خطوط القوة الحيوية، واهتمت بعلوم العرافة والتنجيم.

كل هذا كان نتيجة إهمالها لمقام الألوهية، أوصلها إلى تصور سقيم للإله مفاده؛ أن الإله والإنسان انبثقا من شيء واحد، وأن كل منهما مكمل لدور الآخر في دفع مسيرة تكامل الحياة، فالإنسان هو حلقة الوصل بين السماء والأرض، وأن السماء تؤثر في حياة الإنسان، كذلك هو يؤثر بأعماله على الأرض، فالأعمال الشريرة تؤدي إلى اختلال مسار الكون فيؤدي إلى حصول الكوارث، كما أن السماء هي مستقر الأرواح الطاهرة والخيرة، وتتحول هذه الأرواح إلى آلهة، بينما الأرواح الشريرة تبقى في الدرك الأسفل المظلم، ومن هذا المنطلق ظهرت عقيدة تقديس الأسلاف وعبادتهم، وحرص الآباء على ضمان ولاء أبنائهم لهم في حياتهم من خلال التقديس والاحترام، وبعد مماتهم من خلال تقديم القرابين لهم والصلاة من أجلهم.

إن العقائد الوثنية والأفكار الشرقية وما تحتويه من مصادر غامضة، وما أنتجته من ممارسات رياضية روحية، وتوجيه الإنسان نحو التقشف والرهبانية، وتعذيب الذات من أجل الوصول إلى المعرفة الباطنية، واستمداد الطاقة الكونية، كل تلك الأمور لعبت دورا هاما في بلورة ثقافة الإنسان الشرقي وسلوكه، ولا سيما أن كل تلك السلوكيات كانت تمارس ضمن إطار ديني شعائري، وهذه الثقافة الشرقية حين امتزجت بالثقافة الإسلامية في بعض البيئات والمجتمعات

([1]) **ين يانغ**: مصطلح صيني يعبر عن قوتين ساريتين في كل مظاهر الوجود، يمثلان قطبين أحدهما سالب، والآخر موجب، واستمرار تلك القوتين هو استمرار للحياة والكون والوجود، وهي لا تحمل معنى الصراع بحيث يطمع كل واحد منهما على إلغاء الآخر والسيادة عليه، بل إنها تنشأ معاً، ويتخذ كل ضد معناه من ضده، حيث لا نور بلا ظلام، ولا خير بلا شـــر، ولا حياة بلا موت، والوجود كله في حالة تناوب تلقائي بين تلك القوتين. انظر: التاو تي تشينغ، ترجمة: فراس السواح ص(٩-١٠).

نتيجة الفتح الإسلامي؛ كان أثرها واضح على تلك الانحرافات العقدية التي وجدت عند فئامٍ من المسلمين، وقديما استطاعت هذه الثقافة أن تصبغ الفكر الصوفي وتصوغه صياغة فلسفية بحتة، فتحول التصوف الإسلامي الذي كان في بداية أمره يدعو إلى الزهد والتقشف وعدم الركون إلى الدنيا والتعلق بها، إلى تصوف فلسفي يدعو إلى الكفر الصريح، وتتجلَّى معالمه في مقالات فلاسفة التصوف الإسلامي وتصوراتهم نحو الذات الإلهية، وظهرت عقائد أديان الشرق في مظهر جديد، ولكن في جوهره لا يختلف عن ما هو موجود لديه من عقيدة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، وهذا كله ليس من الإسلام في شيء.

كما كانت لهذه الثقافة أثرا واضحا في صياغة أفكار المتفلسفين الإسلاميين كالفارابي[1] وابن سينا[2] وابن رشد[3] ومن وافقهم، نتيجة الانفتاح الفكري الهائل على الثقافات الوافدة، وما أفرزته حركة الترجمة في العصر العباسي، فعادوا بتلك الثقافة يقررون قدم العالم وأن الله –عَزَّ وَجَلَّ– لا يعلم الجزئيات وقالوا بالبعث الجسماني وتكلموا في الملائكة والنبوة والوحي فأنكروا أموراً معلومة من الدين بالضرورة.

---

(١) **الفارابي**: محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي، ويعرف بالمعلم الثاني، أكبر فلاسفة المسلمين، ولد سنة (٢٦٠هـ)، ومن مؤلفاته: إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها، وآراء أهل المدينة الفاضلة، وتوفي سنة (٣٣٩ هـ). انظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص: ٢١٠)، وفيات الأعيان (٥/ ١٥٣)، الأعلام للزركلي (٧/ ٢٠).

(٢) **ابن سينا**: الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك، ولد سنة (٣٧٠ هـ)، وكان فيلسوفا، ومن مؤلفاته: القانون، والشفاء، والسياسة، وتوفي سنة (٤٢٨ هـ). انظر: وفيات الأعيان (٢/ ١٥٧)، الوافي بالوفيات (١٢/ ٢٤٢)، الأعلام للزركلي (٢/ ٢٤١).

(٣) **ابن رشد**: أبو الوليد محمد بن أبي القاسم حمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي، كان من أئمة المالكية، ومن المشتغلين بالفلسفة وعلم الكلام، ومن تصانيفه: بداية المجتهد، وتوفي سنة (٥٢٠ هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٠٧)، تاريخ الإسلام (١١/ ٣٢١)، الوافي بالوفيات (٢/ ٨١).

كما كانت لهذه الثقافة حضورا لافتا في بلورة عقائد من ينتسبون إلى الإسلام، من أصحاب الحركات الباطنية، كالقرامطة[١] والإسماعيليين[٢]، وما كتبه إخوان الصفا[٣] في رسائلهم، الذين عادوا بتلك الثقافة يفسرون الإسلام تفسيرا باطنيا فكانوا معاول هدم للإسلام وأصوله.

حينها تفطن علماء الأمة ومفكروها وكتابها لتلك الأفكار العقدية الوافدة لديهم، فقاموا يجاهدون بأقلامهم وأفكارهم، وأخذوا يحذرون الناس من تلك الأفكار الخطيرة، وتفطن العالم الإسلامي إلى خطورة هذه المعتقدات وآثارها السلبية على المسلمين ولله الحمد.

وأما حديثا فقد أدرك الإنسان الشرقي أن ثقافته لم تجد لها قبولا أو رواجا بين أوساط المسلمين، فأخذ يصدِّر ثقافته للغرب المتعطش لمثل هذه الثقافة، والتي أنهكته الحياة المادية وترفها، وضلال المذاهب الإلحادية وسفهها، فامتزجت الوثنية الشرقية بالمادية الإلحادية الغربية، وبدأت تزين الباطل وتلمعه، وتلبسه بما اكتشفته من العلوم وتُحسِّنه، فطبقته على شتى مجالات الحياة، ونشأت الحركات الباطنية الروحية الحديثة[٤]، فتبنت نشر هذه العلوم وتصديرها إلى

---

(١) **القرامطة**: حركة باطنية هدَّامة تنتسب إلى حمدان بن الأشعث "قرمط"، وهي حركة ذات تنظيم سري عسكري، تهدف إلى القضاء على الدولة الإسلامية، وتتظاهر بالتشيع وحب آل البيت، ولكن في حقيقتها تؤمن بالإلحاد، وبتناسخ الأرواح، وينكرون البعث، والحياة الآخرة، ويهدفون إلى هدم الأخلاق من خلال نشر الإباحية، وشرب الخمور، وإشاعة الفاحشة والمنكرات. انظر: الموسوعة الميسرة، ص (٣٧٨)، ومعجم البدع، ص (٤٧٠).

(٢) **الإسماعيلية**: فرقة باطنية انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام الصحيحة، وقد مالت إلى الغلو الشديد لدرجة أن الشيعة الاثني عشرية يكفرون أعضاءها، وهم فرق شتى؛ منهم الإسماعيلية البهرة، ومنهم الفاطميون، ومنهم الحشاشون، ومنهم الشاميون، ومنهم الآغاخانية، ومنهم الإسماعيلية الواقفة، ومن أبرز عقائدهم، إنكار صفات الله، والتقية، والقول بالتناسخ، والإباحية المطلقة، واستباحة المحظورات. انظر: الموسوعة الميسرة: ص (٣٨٣).

(٣) **إخوان الصفا**: مذهب باطني شمولي، يسعى للوصول إلى المعرفة من غير قيود، لا يعرف لها مؤسس حقيقي بقدر ما يعرف عن رسائلهم التي كانوا ينشرونها في الخفاء، وأثرت تلك الرسائل بشكل كبير على الناحية الدينية والسياسية والثقافية والتاريخية، وبالتالي فإنه يظهر أنها جمعية سرية كانت تضم العديد من الأشخاص من شتى الطبقات ومختلف الفئات، انظر: رسائل إخوان الصفا: جيوم ديفو، ص(٥)، واخوان الصفا؛ فلسفتهم وغايتهم، د. فؤاد معصوم، ص (٤٥).

(٤) **الباطنية الروحية الحديثة**: مذهب معاصر، يضم لفيفاً من أصحاب الديانات والمذاهب المختلفة، يجتمعون على الاعتقاد بوجود الروح، وخلودها، وإمكان تحضيرها، ومناجاتها، ويتباينون فيما عدا ذلك من الآراء والعقائد التي وفدت بها الأرواح كل حسب انتمائه الديني، وتهدف إلى خدمة الإنسانية ظاهرياً، وإلى هدم الأديان السماوية

البلاد الإسلامية، عبر ندوات ودورات، وبرامج وحوارات، وكتب ومحاضرات، تستهدف كافة شرائح المجتمع، مستغلين الانفتاح الفكري الهائل التي تمارسه شتى وسائل الإعلام الحديثة، ووسائل الاتصال الجديدة، وشبكات التواصل الاجتماعية، حتى غدت هذه المواقع تغص بمثل هذه الأفكار، وبمسميات مختلفة، تارة باسم العلاج بتطبيقات الطاقة الكونية، وأخرى باسم التأمل الكوني وتحقيق الحرية النفسية، وثالثة بنشر مفهوم الوعي الكوني عبر التنمية الذاتية، ورابعة تحت ستار تنمية الملكات الميتافيزيقية والوصول إلى الحاسة السادسة وتحقيق نظرية الإنسان الخارق من خلال علم الباراسيكولوجي، وغيرها من المسميات، وصار من السهل الوصول إليها، وقد تلقفها ثُلَّةٌ ممن يَدَّعُونَ أنهم من مثقفي الأمة ومفكريها، وباتوا يطبقونها على حياتهم ونمط معيشتهم، فتأثروا بها؛ ذلك لأنهم لم يبحثوا عن حقائقها الكامنة، وأغرتهم مسمياتها التسويقية، وسحرتهم العبارات الرنَّانة التي يرددها روَّاد التنمية الذاتية، فانخدعوا بها، وانساقوا إليها، وفريق منهم صار يضفي عليها لباس الشرعية، محاولاً أسلمة تلك المفاهيم الفلسفية، فقلَّد سلفه السابقين من أهل الكلام والمتفلسفين المنتسبين إلى الإسلام الذين اتخذوا منهجاً خاصاً بهم يخالف منهج أهل السنة والجماعة، حين عمدوا إلى تنزيل النصوص الشرعية على المفاهيم الفلسفية، فلووا أعناق النصوص، وأخرجوها عن مرادها، غير آبهين بمقاصد الشريعة؛ كونها تتعارض مع القواطع العقلية التي قرروها من تلك المفاهيم الفلسفية، فعجُّوا المجتمع الإسلامي بالكثير من التطبيقات الفلسفية، وتقعيد القواعد لممارستها، والتنظير لها، واجتاحت أمتنا الإسلامية بمثل تلك التطبيقات، والممارسات العملية لها، وبات خطرا يهدد المعتقد، ويقضي على الثوابت والقيم، وأضحى واجبا على العلماء والمفكرين والمختصين التصدي لظاهرة تلك التطبيقات، ومن أهمها تطبيقات الطاقة الكونية بمفاهيمها الفلسفية، وبيان أصولها العقدية، وجذورها الفلسفية الوثنية، ومصادرها الغامضة، وخطورتها على العقيدة الإسلامية، ونتائجها السلبية، وآثارها على سلوك الفرد والمجتمع.

وإنني من هذا المنطلق وبعد أن استخرت الله -ﷻ-، واستشرت والداي الكريمين ومشايخي الفضلاء، وممن أثق برأيهم من الذين خاضوا غمار هذا الميدان، فإنه ليشرفني ويطيب لي أن أتقدم بهذه الأطروحة لنيل درجة الماجستير في تخصص العقيدة الإسلامية والتي هي بعنوان:

(فلسفة الطاقة الكونية وموقف الإسلام منها – دراسة عقدية نقدية)

باطنياً، تارة باسم الدين، وتارة باسم العلم، ولهم طرقهم وأساليبهم المتنوعة. انظر: الموسوعة الشاملة لمذهب الروحية الحديثة: د. علي العبيدي، ص(١٧).

قياماً بالواجب المنوط بنا من حماية جناب التوحيد، وسداً لكل طريق يوصل إلى النيل منها، وعملاً بالنصيحة للأمة الإسلامية، ومساهمةً في نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة الواضحة، ولا سيما وقد عرض علي هذا الموضوع برمته، وناقش خطته، وتفضل بالإشراف عليه، من أتشرف بالنهل من معين علمه، والتزود برأيه ومصاحبته، شيخي الفاضل الشيخ الدكتور أبو زيد بن محمد مكي –حفظه الله–، الذي بذل جهده ووقته، وأولاني عناية علمية بتوجيهاته السديدة، وإليه يعود كل ما يُحمد في البحث، فلفضيلته أسمى آيات الشكر والتقدير والعرفان، وإلى نفسي الضعيفة وحدها يعود كل ما قد يشوب البحث من أوجه القصور والنقص، وعزائي أنه عمل وجهد بشري قاصر، واللهُ من وراء القصد، واللهَ أسأل أن يبارك في الجهود، وأن يرفع منزلة علمائنا ومشايخنا في الدارين، وأن يسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة، اللهم آمين.

وسأذكر في ثنايا هذه المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختياره، والمنهج المتبع فيه، وخطة البحث، والإشكالات الواردة فيه.

سائلا الله العلي القدير أن يوفقني لما فيه الخير والصلاح، وأن يرزقني الإخلاص والفلاح، وأن يبارك لي في عملي هذا ويكتب له النجاح، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وحجة لي إلى يوم الدين، إنه رجائي وحسبي، وعليه اعتمادي وتوكلي، وبه ثقتي، والحمد لله أولا وآخرا.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

- حب التطلع البحثي والمعرفي في قضية شغلت بالي، وأخذت حيزا من تفكيري لدراسة فلسفة الطاقة الكونية وأثرها على العقيدة الإسلامية.
- تكمن أهمية الموضوع في أن فلسفة الطاقة الكونية وتطبيقاتها لها علاقة بالجانب الروحي، وهي في أصلها طقوس وشعائر تعبدية يمارسها أتباع الديانات الشرقية، وقد تسربت إلى العالم الإسلامي عبر التصوف قديماً، وعبر تطوير الذات والتنمية البشرية حديثاً، فأثرت على المعتقد، وظهرت أصوات نشاز تحت غطاء الباطنية الحديثة، دعت إلى تبني تطبيق هذه الطقوس الروحية، واستطاعت من خلالها أن تتخذ منها ستارا لأجل تمرير مخططاتها وعدوانها على المجتمعات المسلمة والآمنة.

- من خلال هذه الدراسة نستطيع أن نصل إلى الجذور الفلسفية لتطبيقات الطاقة الكونية ونبين أصولها الوثنية واعتمادها على المصادر الغامضة.
- نستطيع من خلال دراسة هذه الفلسفة وتطبيقاتها توضيح حقيقة المعرفة الباطنية، وكيف حاول فلاسفة الغرب تفسير الدين، وإخراجه من دائرة الطقوس والشعائر المرتبطة بمصادر المعرفة لديها إلى تقديم مفهوم جديد للدين، ترتبط طقوسه وشعائره بالمعرفة الباطنية، وإحلال الدين الجديد محل الأديان السماوية.
- من خلال الدراسة نوضح خطورة الانفتاح الفكري غير المنضبط على جميع الثقافات عموما والثقافة الشرقية خصوصا، وكيف لعبت الترجمة دورا هاما في جلب المعتقدات الفاسدة إلى بلاد الإسلام وما أخفته هذه المعتقدات الوافدة من أفكار فلسفية خطيرة استطاعت أن تؤثر على سلوك الفرد والمجتمع، وتساعد في هدم الأصول والمعتقد.
- نوضح من خلال الدراسة ضرورة الاعتصام بالكتاب والسنة وفهمها وفق فهم سلف الأمة، مع الأخذ بالاعتبار بضرورة توضيح خطر تقديم العقل أو الهوى أو الحظوظ النفسية على نصوص الشرع.
- نستطيع من خلال هذه الدراسة إشعار المسلم في زمن التحديات وإثارة الفتن والشبهات بالاعتزاز بدينه وإسلامه، والافتخار بسلفه، وأنه على الحق وعلى الجادة والطريق المستقيم، ولا يضره من خالفه وخذله.

مشكلة البحث:

- هل هناك طاقة كونية؟
- ما هذه الطاقة؟ وما علاقتها بالروح، وما هي تأثيراتها؟
- من أين أتت الفكرة وما هي أصولها وجذورها؟
- ما هي أبرز المدارس التي تبنت فلسفة الطاقة؟
- ما هي التطبيقات والممارسات الفعلية لهذه الفلسفة؟.
- ما أثر هذه الطاقة على سلوك الإنسان؟ وما الموقف الشرعي منها؟.

لعلي من خلال هذا البحث أجد إجابات مقنعة لحل هذا الإشكاليات.

حدود البحث:

هذا البحث يتناول التعريف بفلسفة الطاقة الكونية وحقيقتها وبمسمياتها المختلفة، كما يتناول البحث تاريخ نشـــأة هذا العلم ومتى ظهر والبيئة التي ظهرت فيها، ومن أين استمدت مبادئها وأصولها، كما سنعرج على مصادر الطاقة لدى الإنسان، ومن أين يستمد المرء طاقته، وهل هناك طاقات مكتسبة؟، ونتحدث أيضا من خلال هذا البحث عن أنواع الطاقة، وعن مدارســـها واتجاهاتها الفلســـفية المتمثلة في الاتجاه الإلحادي الروحي، ومدرســـة التأمل الكوني، والمدرســـة الإنســـانية الكونية، والاتجاه الاستشفائي العلاجي، والوعي الكوني.

نبين حقيقة هذه المدارس واتجاهاتها الفلســـفية وأصـــولها الدينية، وموقفها من بعض القضايا العقدية، وكيف تأثرت الباطنية الحديثة بها.

كما أننا سـنعرج على دراسـة بعض التطبيقات المرتبطة بتلك الاتجاهات، كما نحاول أن نبين الطرق والأســـاليب المتبعة في نشـــر هذه التطبيقات، ونختم ببيان موقف الإسـلام من فلسـفة الطاقة الكونية وتطبيقاتها، والعقائد المنبثقة منها، وآثارها المترتبة على الفرد والمجتمع.

أهداف البحث:

- بيان حقيقة الطاقة الكونية، ونظرة الفكر الشـــرقي القديم نحو الكون، ومعرفة الجذور الفكرية التي قامت عليها المفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية.
- التعرف على المدارس والاتجاهات الفكرية المختلفة التي تتخذ من الوصـــول إلى المعرفة الباطنية سبيلاً لتكريس المفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية، وترجمتها على الواقع العملي.
- معرفة حقائق تطبيقات الطاقة الكونية، والتعرف عليها وعلى آثارها على الفرد والمجتمع.
- الرد على من يحاول إلباس الخرافة والوهم ثوب العلم، ومن ثم الترويج لها على أنها حقائق علمية.

- التحذير من الحركات الباطنية الجديدة وأساليبها الدعائية، والتي تعمل على هدم الإسلام وأصوله.
- بيان الموقف الشرعي من قضايا الاعتقاد الناتجة عن الإيمان بالمفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية، وبيان الموقف الشرعي من دعوى التأثير والتأثر بالطاقة الكونية، وبيان الموقف الشرعي من قضية الوعي الكوني.

الدراسات السابقة:

موضوع فلسفة الطاقة الكونية موضوع قديم قدم التاريخ الإنساني، وقد انتشر مؤخراً ولا سيما في العالم العربي، وقد تأثر بها كثير من الناس ولا سيما المهتمين بتطوير الذات والتنمية البشرية، ولذا يتم الترويج لها ضمن العديد من الدورات التدريبية باهظة الثمن، وتبنتها مراكز بحثية تدعي أنها قائمة على منهج البحث العلمي، وأُولع الناس بتلك التدريبات التي هي في حقيقتها بيع للوهم. وتبنت تلك المراكز إعداد بحوث[1]! دلَّست على الناس بأنها علمية، وأنها قائمة على منهج!، وهي في حقيقتها إحياء للفلسفة الشرقية القديمة، من البدائية الروحية، والموروثات الشعبية القديمة، والقائمة على نسج الخيال والأسطورة، والمكتبات ودور النشر الحديثة[2] تعج بتلك المؤلفات.

---

(1) على سبيل المثال لا الحصر؛ مركز الراشد المتخصص في التنمية البشرية، والذي صمم العديد من البرامج والأنشطة التدريبية الحصرية على مستوى الشرق الأوسط وشمال افريقيا في مجالات التنمية الذاتية المختلفة، لتقديمها بنظام المناهج التدريبية، وسيأتي مزيد بيان وتوضيح عن هذا المركز من خلال سياقات البحث.

وكذلك الأكاديمية الدولية للتنمية الذاتية – iAPD، ويهدف إلى إيجاد ملتقى علمي وعملي متطور يؤمن بأهمية التغيير من الداخل، ويؤمن بالتأثير السلمي، والممارسة لعيش اللحظة، وسيأتي مزيد بيان وتوضيح عن هذا المركز من خلال سياقات البحث.

وكذلك أكاديمية ريكي زن لعلوم الطاقة الحيوية والطب التكميلي، وتسعى إلى صياغة مفاهيم سليمة للعلاج بطاقة الريكي وطاقة الحياة الكونية بتقنيات فاعلة، استناداً إلى معطيات مدرسة المعلم ميكاو أوسوي اليابانية، وغيرها من المدارس، وسيأتي مزيد بيان وتوضيح عن هذا المركز من خلال سياقات البحث.

(2) ظهر في العالم العربي دور نشر متخصصة في نشر الكتب المترجمة من لغات أجنبية، مثل دار الخيال التي دأبت على نشر كتب "أوشو" و"تشواكوك سوي" وغيرهما، ولا ننسى أيضاً كتب "ديباك تشوبرا"، و"إكهارت تول"، و"دافيدجي"، وغيرهم الكثير.

هذا الأمر ساهم كثيراً في نشر فلسفة الطاقة الكونية، الأمر الذي دفع المتخصصين إلى التحذير من هذه الفلسفة ومن تطبيقاتها، وأعُدت بعض الدراسات العلمية في الجامعات السعودية المرموقة، داعية إلى التحذير من هذه التطبيقات، إلا أن موضوع فلسفة الطاقة الكونية لم يكن سوى مبحثاً من مضامين تلك الدراسات التي ساهمت وبقوة في كشف الحقائق العلمية عن خرافة تلك التطبيقات، مدعمة بالحجج العقلية والبراهين العلمية.

والقارئ حين يعرّج على تلك الدراسات تنتابه بعض الأسئلة عن حقيقة هذه التطبيقات وعن أصولها الفلسفية وعن مصادرها، وعن اتجاهاتها ولا سيما وأن تلك التطبيقات اشتملت على فلسفة شاملة لكل مناح الحياة، وأصبحت دراسة هذه الفلسفة أمراً مهماً لربط حلقات تلك الحقائق، في سلسلة توضح لطالبي المعرفة خطورة هذه الفلسفة على صحة المعتقد وسلامة المنهج.

وممن تصدى لدراسة هذه التطبيقات وأعد دراسة علمية لها:

١- **الدكتورة فوز بنت عبد اللطيف كردي** في بحثها " الإيمان بالغيب وآثاره"، وهذا البحث وإن لم يكن قد تضمن في خطته الحديث عن فلسفة الطاقة الكونية إلا أن الباحثة استطاعت أن تضع اللبنات الأولى لمشروع دراسة الفلسفة الباطنية الحديثة، وقد أصلت للموضوع تأصيلاً علمياً بينت فيه مصادر استمداد المعرفة الباطنية والتي هي جزء من فلسفة الطاقة الكونية، كما أن الباحثة لديها العديد من الأبحاث والمقالات المنشورة حول موضوع الفكر الباطني الحديث، وقد تبنَّت مشروع التصدي للأفكار العقدية الوافدة من خارج البيئة الإسلامية.

٢- **الدكتورة هيفاء بنت ناصر الرشيد** في بحثها "التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، وهو بحث تقدمت بها الباحثة لنيل درجة الماجستير من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد تناول البحث التعريف بفلسفة الاستشفاء الشرقية وأصولها وأبرز عقائدها، كما تناول دراسة التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، وحين تطرقت

الباحثة للعقائد التي بنيت عليها الفلسفة الاستشفائية تطرقت للحديث عن فلسفة الطاقة الكونية وآثارها.

كما أن للدكتورة هيفاء الرشيد بحث آخر وهو "حركة العصر الجديد – مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها"، وضحت فيه الباحثة عن علاقة حركة العصر الجديد بفلسفة الطاقة الكونية، وأنها من الأهمية بمكان في الفكر الباطني الحديث، وكيف استطاعت تلك الحركة في توظيف فلسفة الطاقة الكونية في شفاء الأمراض.

وهذه الدراسات العلمية استفدت منها كثيراً، وكما أسلفت فإن فلسفة الطاقة الكونية كما يظهر للقارئ الكريم لم يكن إلا ثمة مبحث من مباحث تلك الدراسات، ولذلك فقد خصصت هذه الدراسة في النظر بشكل أعمق حول فلسفة الطاقة الكونية وبيان حقيقتها وأصولها الفلسفية وجذورها الفكرية، ومصادرها الغامضة واتجاهاتها الفكرية، وكيف تأثرت الباطنية الحديثة بها، وساهمت في نشر رؤيتها العالمية حول مشروع وحدة الأديان تحت شعار الإنسانية أو الهيومانية.

إن الدراسات العلمية السابقة تمثل لكل من أراد دراسة الباطنية الحديثة وأصولها اللبنة الأولى والأساس العلمي المؤصل للانطلاق نحو دراسة المزيد من الاتجاهات الفكرية للباطنية الحديثة بفلسفاتها المستمدة من الوثنية القديمة، وهذه الدراسة وهي وإن كانت امتداد لسلسلة الدراسات العلمية السابقة ومساهمة في فضح المخطط الباطني الحديث لإحياء الروحية البدائية والوثنية القديمة إلا أنها تميزت عن سابقتها في أمور منها:

- ✓ هذه الدراسة تعمقت بشكل أكبر حول الأصول الدينية والمرجعية الفكرية لفلسفة الطاقة الكونية لتشمل بشكل عام الفكر الشرقي القديم وإشكالياته نحو مقام المعبود وموقفه من الكون.
- ✓ ناقشت هذه الدراسة المصادر التي استمدت منها فلسفة الطاقة الكونية واستندت عليها في شرعيتها، وهي مصادر في مجملها من نتاج الفكر البشري القاصر.

- ✓ كشــفت هذه الدراســة حقيقة الربط الجائر بين العلم والوهم، وكيف اســتطاعت الباطنية الحديثة في استغلال الحجج اليقينية والنظريات العلمية والمكتشفات الحديثة وتوظيفها في نشر الوهم والخرافة.
- ✓ توسعت هذه الدراسة في الاتجاهات الفكرية لفلسفة الطاقة الكونية، وتجاوزت من كونها اتجاه باطني يهدف إلى استهداف معالجة المرضى لتشمل كل مجالات الحياة، وصــولاً إلى اســتطراق باب النبوة ومحاولة اســتنســاخ فكر الوحي والنبوة!، وانتهاءً بعبودية الإنسان، وإحلاله محل الخالق رب الأرباب -ﷻ-!.

وقد جاءت خطة البحث على النحو التالي:

خطة البحث:

- **المقدمة:** وتضمنت أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.
- **الفصل الأول: المدخل لدراسة فلسفة الطاقة الكونية وفيه ثلاثة مباحث:**
  - ❖ المبحث الأول: المراد بالطاقة الكونية.
  - ❖ المبحث الثاني: الصلة بين الطاقة الكونية وبين الإنسان.
  - ❖ المبحث الثالث: الجذور الفكرية لفلسفة الطاقة الكونية.
- **الفصل الثاني: مدارس فلسفة الطاقة الكونية، وفيه ثلاثة مباحث:**
  - ❖ المبحث الأول: مدرسة الوجود الكوني.
  - ❖ المبحث الثاني: مدرسة الإنسان الكوني.
  - ❖ المبحث الثالث: مدرسة الوعي الكوني.
- **الفصل الثالث: تطبيقات فلسفة الطاقة الكونية. وفيه خمسة مباحث:**
  - ❖ المبحث الأول: تطبيقات التأمل الكوني.
  - ❖ المبحث الثاني: تطبيقات التواصل مع الأرواح والعوالم الغيبية.

- ❖ المبحث الثالث: تطبيقات تطوير الذات.
- ❖ المبحث الرابع: تطبيقات الاستشفاء والعلاج.
- ❖ المبحث الخامس: تطبيقات الوعي الكوني.

- **الفصل الرابع: موقف الإسلام من فلسفة الطاقة الكونية، وفيه ثلاثة مباحث:**

- ❖ المبحث الأول: موقف الإسلام من القضايا الاعتقادية الناتجة عن فلسفة الطاقة الكونية.
- ❖ المبحث الثاني: موقف الإسلام من قضايا التأثير.
- ❖ المبحث الثالث: موقف الإسلام من قضية الوعي الفلسفي.

- **الخاتمة: وفيها:**

- ❖ النتائج والتوصيات.
- ❖ الفهارس.

منهج البحث:

بعد توفيق الله -ﷻ- فقد كتبت هذه الرسالة مستنداً على منهج البحث العلمي للوصول إلى معرفة الحقائق عن فلسفة الطاقة الكونية، وقد سلكت فيه المنهج الوصفي أولاً، ثم عمدت إلى استخدام المنهج التاريخي، وثلثتها بالمنهج الاستقرائي الاستنباطي، وسوف أوضح طريقة تعاملي مع المناهج المذكورة.

١- المنهج الوصفي التاريخي: سلكت هذا المنهج لبيان حقيقة الطاقة الكونية؛ إذ بينت المراد منه وصفياً كما ذكره أهل الاختصاص، ولما كانت فلسفة الطاقة الكونية متعلقة بدراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية كونها أحد أهم أنماط التدين في مجتمع الفكر الشرقي القديم كان لزاماً استخدام هذا المنهج لتحديد المشكلة، ومن ثم ربطها بالواقع العملي، لنتحصل في الأخير على المعطيات المهمة والأدلة النظرية العقلية التي تقودنا إلى معرفة تلك الحقائق، وأبرز مشاكله.

٢- اتبعت المنهج الاستقرائي الاستنباطي لصياغة الأدلة على نقض النظريات التي يستند عليها فلاسفة الطاقة الكونية، وقد اجتهدت قدر الإمكان في البحث عن الجذور الفكرية في الثقافات القديمة، معتمداً على التحليل وفهم المشكلة، ونقدها على ضوء العقيدة الإسلامية.

وقد تمثلت طريقة البحث في النقاط التالية:

أولاً: ما يتعلق بطريقة التعامل مع النصوص الشرعية.

- قمت بوضع الآيات القرآنية بين معقوفتين مزخرفتين بالزخرفة الإسلامية ﴿﴾، وقد ضمنتها الآيات القرآنية، وسقتها بالرسم العثماني، وأما ما يتعلق بطريقة العزو؛ فقد أشير في الهامش على اسم السورة، ورقم الآية.
- ذكرت أحاديث الرسول -ﷺ-، وعزوتها إلى مصادرها الأصلية، وأما ما يتعلق بطريقة العزو؛ فقد جاءت وفق البيان التالي:
  - إذا كان الحديث متفق عليه؛ أخرجه من الصحيحين، مقدماً صحيح الإمام البخاري على صحيح الإمام مسلم، ذاكراً رقم الحديث أولاً بين قوسين ()، ثم اذكر اسم الكتاب الذي ورد فيه الحديث وبابه حسب ما أورده المصنف، ثم أضمنه بذكر رقم المجلد ورقم الصفحة مختصراً، (م١/ ص١)، هكذا فقط؛ دون الحكم على الحديث، كونه وارداً في الصحيحين، ولتلقي الأمة لهما بالقبول، والحمد لله.
  - ما كان في غير الصحيحين، فأكتفي بعزوه إلى كتب السنن، مع ذكر حكم الحديث عند أهله بحسب المتيسر، وغالباً أنقل حكم الأئمة الأعلام من أهل الحديث، أمثال الإمام الترمذي والإمام الألباني، وأما طريقة العزو، فهي لا تختلف عن الطريقة السابقة: رقم الحديث أولاً بين معقوفتين ()، ثم ذكر اسم الكتاب وبابه، ثم رقم المجلد، ورقم الصفحة: (م١/ص١).

ثانياً: ما يتعلق بطريقة التعامل مع مصادر البحث:

- حاولت قدر الإمكان الرجوع إلى مصادر البحث الأصلية، والبحوث العلمية المنشورة في الجامعات السعودية وغيرها من جامعات الدول العربية.

- اعتمدت على المؤلفات التي كتبها أهل التخصص من علماء الشرق أو الغرب، وكل تلك الكتب مطبوعة ومنشورة بالترجمة العربية. الأمر الذي سهل جزءاً من عملية البحث.
- رجعت إلى بعض المواقع العلمية المعتمدة والمهتمة بدراسة المفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية.
- طريقة تعاملي مع النصوص، فأذكرها حسب السياق، سواء كانت فكرة أو اقتباساً، وأشير إليه في الهامش. وأما حين أنقل نصَّاً أصليّاً فأضمنه بين معقوفتين هكذا " "، وبالطبع أشير إليه في الهامش، وقد اتبعت في ذلك طريقة العلماء في البحث العلمي، مراعياً في ذلك **الأمانة العلمية** في النقل والتوثيق والتعليق والاقتباس، وبذلت في ذلك كل ما بوسعي، وأن أخطأت في شيء من ذلك فهو من باب الخطأ والنسيان، وأستغفر الله على ذلك.
- طريقة توثيق المعلومات في الهامش، فقد عمدت إلى ذكر اسم الكتاب أولاً، مستخدماً نمط التحبير، ثم أذكر اسم المؤلف، واسم المترجم أو المحقق، ثم اذكر بيانات النشر، ثم اذكر رقم الصفحة محبَّرةً، هكذا: وإن كانت الصفحات أكثر من صفحة ذكرتها بين معقوفتين هكذا **ص (١-٤)**، ومعلومات التوثيق آنفة الذكر لا استخدمها إلا في الموضع الأول، وفي حال تكرار عملية التوثيق من نفس المرجع؛ فأكتفي بذكر اسم الكتاب، ومؤلفه، ثم رقم الصفحة.

ثالثاً: ما يتعلق بطريقة التعامل مع المصطلحات والأعلام.

- ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في البحث عند أول موضع، ولم أترجم للأعلام المعروفين كالأنبياء والرسل، والأعلام المعاصرين.
- تجاهلت التعريف ببعض المصطلحات المعروفة عند أهل التخصص خشية الإطالة، ولم أشرح إلا المصطلحات الفلسفية الغامضة الذي يقتضي سياق البحث في توضيح المراد منه.

وأخيراً:

- ختمت الرسالة بذكر أهم النتائج والتوصيات، وعملت الفهارس اللازمة للبحث للرجوع إليها والانتفاع بها.

وقد أحاط بالبحث صعوبة بالغة، فقد استغرقت في بناء معالمها، وتبييض فصولها، وربط مباحثها أكثر من خمس سنين، عكفت خلالها على قراءة الكثير من المصادر والمراجع المتخصصة في عرض الموضوع نظرياً وفلسفياً، والحقيقة أن التعرض للمصطلحات الفلسفية أمر يبعث على النفس الكآبة والملل نتيجة التعرض للمصطلحات الفلسفية الغامضة، وطرق الفلاسفة الشائكة في إثبات المعارف، والنفس لا تطمئن ولا ترتاح إلا بذكر الله، ولكن هذا الأمر ليس عائقاً في سبيل الوصول إلى الحقائق، ونقض الخرافة والوهم.

وإني أحمد الله -ﷻ- على أن وفقني لكتابة هذه الرسالة، وتجاوز عقباتها، وتذليل صعابها، وإني لأرجوا أن أكون قد وفقت في صياغتها وترتيبها، وإخراجها على الصورة اللائقة بها، وفي الأخير يظل هذا العمل جهداً بشرياً من أبرز خصائصه النقص، فالحمد الله على التمام والكمال، والحمد لله على تمام المنة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وفي نهاية هذه المقدمة لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل، والثناء العاطر، والتقدير القيِّم، إلى كل من بذل لي نصيحة أو جهداً أو مشورة في سبيل إتمام هذه الرسالة، وفي مقدمتهم والداي الكريمين، وأهل بيتي وعائلتي الكرام، الذين جادو علي بصبرهم وتحملهم بعدي عنهم بسبب انشغالي بالرسالة.

وأثني بالشكر لمن أولاني الرعاية العلمية، فضيلة الشيخ الدكتور أبو زيد بن محمد مكي –حفظه الله ورعاه- الذي بذل جهده ووقته وعلمه في سبيل إخراج هذه الرسالة العلمية على الصورة اللائقة بها، فله مني كل الشكر والتقدير والعرفان.

كما يطيب لي أن أتقدم بالشكر الجزيل والثناء العاطر والتقدير القيم إلى المشايخ الأجلاء فضيلة أ.د. البهنسي رزق البهنسي أبو النجا، وفضيلة د. عبد العزيز بن أحمد محسن الحميدي اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذه الرسالة، وتحملا عناء قراءتها وتقويمها وإبداء الملاحظات عليها مع كثرة مشاغلهما وضيق وقتهما، فجزاهما الله عني خير الجزاء،

والله أسأل أن يبارك في الجهود، وأن يرفع منزلة علمائنا ومشايخنا في الدارين، وأن يسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة، اللهم آمين.

والشكر موصول إلى كلية الدعوة وأصول الدين، إحدى منارات العلم الرائدة في جامعة أم القرى منارة المعرفة الإسلامية في موطن العلم ومهوى الأفئدة، وأخص بالشكر كل الأعضاء العاملين في الكلية بدءاً من فضيلة عميد الكلية، ووكلائه وفريق العمل من الإداريين والموظفين، وأثني بالمشايخ الأجلاء، أعضاء هيئة التدريس عموماً، وأخص بالشكر والتقدير والعرفان فضيلة رئيس قسم العقيدة، وكافة أعضاء هيئة التدريس الذين لا يألون جهداً، ولا يقصرون إرشاداً ونصحاً، في سبيل خدمة العلم وأهله، فاللهم بارك في عمرهم وعلمهم وعملهم، وأجزل لهم المثوبة والأجر، وأسبغ عليهم من واسع فضلك.

وفي الختام؛ أسأل الله العلي الأعلى، الواهب المعطي، رب العزة والجلال، ورحمن الدينا والآخرة ورحيمهما أن يغفر ذنبي، ويستر خطأي، ويتقبلني من عباده الصالحين، رب إن تعلمني أعلم عبادك، وإن تكلني إلى نفسي أكن من الخاسرين، ولا حول ولا قوة لي إلا بك، رب لا تجعل حظنا من هذه الرسالة التعب والنصب، واجعل حظنا منها القبول والشرف، لك الحمد على ما هديت ووفقت، ولك الشكر على ما منحت وأعطيت، فأهل أنت أن تحمد، وأهل أنت أن تعبد، أجزل لنا المثوبة والأجر، ووفقنا لما تحب وترضى.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.